

حوارات ... الخبرة الإعلامية د . ماجي الحلواني لـ الخليج



الوضع الإعلامي في عالمنا العربي يحتاج إلى نظرة جادة، لمعالجة أوجه القصور بعد أن أصبح حال الفضائيات العربية مثيرا للأسى والأسف والحزن . نفهي إما قنوات جامدة تقدم الدين بصورة سيئة بعيداً عن الواقع أو تقدم العربي والرقص وكل ما يجافي قيمنا الإسلامية، وأضحت سماواتنا المفتوحة تعج بنوع جديد من الفضائيات يتعاش على إثارة البغضاء والكراهية بين الدول العربية، ناهيك عن القنوات التي تعمل على الترويج للخرافة والدجل والشعوذة .

كل هذه الأمور تجعلنا نتساءل عن كيفية مواجهة تلك الظواهر الإعلامية البغيضة . . وفي محاولة لإلقاء الضوء على تلك الظواهر وتلمس السبل لمواجهتها، التقينا الدكتورة ماجي الحلواني العميدة الأسبق لكلية الإعلام بجامعة القاهرة وعميدة الأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام وعضوة مجلس الشورى المصري . . استمعنا لرؤيتها حول الأداء الإعلامي العربي والحلول التي تراها مناسبة للتخلص من سلبيات العمل الإعلامي المتنافية وقيمنا العربية والإسلامية والتفاصيل في السطور الآتية

فضائيات دينية كثيرة تمارس الشعوذة وتخرب العقول

من خلال الخبرة الطويلة في مجال الإعلام، ما رأيك في وضع الإعلام العربي في الوقت الحالي؟

شهدت الفترة الأخيرة تزايداً ملحوظاً في انتشار الفضائيات، وأرى أنها الوجه الآخر للإذاعات الموجهة في السابق التي كانت تمثل بلادها، حيث أصبحت هذه الفضائيات الآن تمثل بلادها، وما من دولة إلا ولها على الأقل فضائية واحدة إن لم يكن أكثر، ولكن مع ذلك مازالت القنوات الرسمية إلى حد ما تحافظ على القيم والسلوكيات الطيبة في حين يؤخذ على الفضائيات أنها تركز على الجانب الترفيهي بشكل كبير وقلما نجد قناة تتوجه إلى المجتمع العربي بوجه عام، فالترفيه مطلوب لكن ليس بهذا الشكل الطاغى على الجوانب المهمة الأخرى، فالشباب العربي يمثل النسبة الغالبة من المشاهدين لهذه القنوات، فأين البرامج الثقافية المفيدة والموجهة لهؤلاء الشباب؟ للأسف يتم التركيز على موضوعات وأمور تافهة وبالتالي أصبحت هذه الفضائيات بلا قيمة إعلامية أو تنموية، فالمهم ليس فقط تحقيق المكاسب التجارية، وإنما الأهم ما تقدمه من فكر وثقافة وتربية لأطفال وناشئين سوف يكونون في المستقبل مسؤولين عن تنمية المجتمع . وتقدمه .

لا عدو ولا حبيب

هل يعني ذلك أنك غير راضية عن الأداء الإعلامي العربي؟

المشهد الإعلامي العربي لا يسر عدواً ولا حبيباً، كما يقول المصريون، فالقنوات الفضائية الهابطة انتشرت بشكل مبالغ فيه للأسف الشديد وهي تعمل ضد منظومة القيم والثقافة والأخلاقيات لدرجة أنها حتى لا تحقق الحد الأدنى من القيم المعرفية أو الخلقية أو التربوية، لكنها مع ذلك باتت قوة مؤثرة في سلوك الشباب ونمط تفكيرهم وتوجهاتهم، والملاحظ أن هناك انتشاراً فضائياً سريعاً حيث تظهر قناة جديدة كل فترة بسيطة، وقد دفع ذلك القائمين على الفضائيات إلى استخدام أساليب جديدة ومتطورة فنية كانت أم تجارية بغض النظر عن ملاءمتها لقيمنا الدينية والثقافية، بهدف استمالة شريحة الأطفال والشباب واليا فعين دون أن يضعوا في حسابهم أن هذا التوسع في تجارة التسلية الموجهة للشباب يخفي الكثير من المخاطر والسلبيات .

خطر على العقول

بعيداً عن القنوات الترفيهية هل ترين أن هناك نوعاً آخر من القنوات الفضائية تشكل خطراً على العقل العربي؟

طبعاً هناك القنوات التي تعمل تحت ستار ديني وتمارس الدجل والشعوذة وتروج لهما، وللأسف فإن فضائيات السحر والشعوذة والدجل التي انتشرت على الأقمار الصناعية العربية اليوم تعد خارجة خروجاً مطلقاً على القانون الديني والاجتماعي، وتضرب بمبادئ الإعلام الصحيح والهادف عرض الحائط، فهي تعمل على بث آمال خادعة في نفوس بعض المرضى من أبناء الأمة الإسلامية، وذلك من خلال تطعيم خزعبلاتهم ببعض الآيات القرآنية ودفع المشاهدين إلى تصديق هذه الخرافات من خلال التنبؤ بالشفاء من الأمراض المستعصية وكشف الهم إلى آخره، وكل هذه الأمور تعد من الغيبيات التي لا يعلمها إلا الله عز وجل، وهناك أمر مهم في هذه القضية وهو أن السلطات القضائية والقوانين الداخلية في كل دولة عربية وإسلامية تحارب هذا النوع من الممارسات الشاذة وتعاقب الممارسين لأموال الدجل والشعوذة بصورة حاسمة على الأرض، ولكن يبدو أن هؤلاء المخرفين قد وجدوا ضالته في الفضاء لأنهم لا يقعون تحت طائلة القانون، وقد أصبحت هذه القنوات المشبوهة التي تعبت بعقول الناس عقائدياً واجتماعياً هي الطريق الأسهل للثراء من خلال استنزاف أموال المسلمين من مرضى النفوس وقليلي الوازع الديني .

إذن، كيف تنظرين إلى مسيرة الإعلام الإسلامي الموجود على الساحة؟

كما قلت لك هناك قنوات دينية أخذت الدين ستاراً لخداع البسطاء من المسلمين، ولكن هذا لا يعني عدم وجود قنوات دينية هادفة، وبلا شك لابد أن نلتمس للإعلام الديني العذر إذا شابت عمله بعض الأخطاء فالإعلام الديني مازال وليداً، فمنذ خمسة عشر عاماً لم يكن هناك ما يسمى بالإعلام الديني والآن أصبح موجوداً على الساحة ويحاول المنافسة ولكنه لا يزال يتلمس طريقه، ولابد من أن يحاول بلورة نظرية إعلامية متكاملة ولابد أيضاً من أن نعي أن أي إعلام ليس فيه فساد يمكن أن يسمى إعلاماً دينياً وهادفاً .

يرى الكثير من المتخصصين أن الفضائيات تشكل خطورة على هويتنا الثقافية فهل أنت مع هذا الرأي؟

نعم، ويكفي أن نشير إلى التشويه المتعمد من جانب الفضائيات للغة العربية، ويكفي أن هناك فضائيات تعمل اليوم على بث برامجها بالعامية لدرجة أن تضيع نشرتها الإخبارية باللهجة العامية لا لشيء إلا لضرب اللغة العربية، وأنا مازلت أتذكر نتيجة دراسة تم إجراؤها على الرسائل القصيرة التي تبثها الفضائيات على شريطها السفلي، وجاء فيها أن تلك الرسائل بالإضافة إلى أنها تجافي في معظمها أهم الأفكار والقيم والمعايير الأخلاقية التي جاء بها الإسلام، كذلك فإن العدد الأكبر من الرسائل سيطرت عليها العامية الدارجة والعامية السوقية على مستوى الرسائل، وأن نسبة كبيرة من تلك الرسائل احتوت على مضمون عاطفي بين شباب وفتيات ليست بينهم أي علاقة شرعية، وهو ما يعني أن تلك الفضائيات تساهم أيضاً في نشر الإباحية في مجتمعاتنا، وهي أمور تهدد ثقافة المجتمع وتزعزع هويته وتنشر الاغتراب .

فضائيات السعودية

هل ترين أن المواطن العربي يتعرض لهجمة فضائية شرسة تستهدف قيمه وأخلاقه؟

هذا صحيح فالمشاهد المسلم يتعرض لهجمة شرسة فإما أن يشاهد برامج الخرافات والسعودية، وإما البرامج المثيرة للغرائز التي تستنزف طاقاته البشرية خاصة طاقة الشباب، ولو تم التسليم بمنطق أصحاب تلك القنوات بأن كثافة المشاهدين هي معيار النجاح فإنه يمكن التأكيد أن أي قناة تقدم أفلاماً إباحية تستطيع أن تجذب أكبر نسبة مشاهدة خاصة بين الشباب . والسؤال الطبيعي المطروح في هذه الحالة هو لماذا انتشرت هذه النوعية من القنوات بهذا الشكل السرطاني؟ وتكمن الإجابة في معرفة الاتجاهات الفكرية لمالكي الفضائيات العربية، فمعظم من دخلوا مجال النشاط الفضائي التلفزيوني مغامرون ورجال أعمال رأوا أن الإقبال الجماهيري على مواد السحر والدجل والسعودية والإثارة، خاصة ما يرفع فيها من شعارات دينية، هذا الإقبال يحقق لهذه القنوات أرباحاً خيالية، ومن الطبيعي حينذاك أن تكون مثل هذه البرامج هي التي تحتل المساحة الأكبر في هذه القنوات، وهذه هي الصورة البائسة بالنسبة لأكثر حيز من الفضائيات التلفزيونية التي لا تنتمي قطعاً إلى النشاط الإعلامي، فبعضها ملاه ليلية فضائية وأخرى أوكار دجل لكنها بالقطع لا تنتمي إلى الإعلام الهادف بأي صلة، والإحصاءات العربية على الأرض تؤكد واقعاً مريراً وهو أن العرب ينفقون على السحر والدجل والسعودية سنوياً ما يزيد على خمسة مليارات دولار، وذلك مع عدم وجود القنوات الفضائية الخاصة بنشر ثقافة السحر والسعودية، فما بالنا بعد وجود قنوات متخصصة في هذه الخزعبلات والبقية تأتي، ما يؤكد أن هذه الإحصاءات من الممكن أن تتضاعف في ظل ترك هذه الفضائيات تنخر كالسوس في الجسد العربي المسلم . ومن المؤسف أن أبواب السحرة والدجالين لم تعد مقصد البسطاء والعامية وحدهم، بل يقصدها الساسة ومشاهير الفن والرياضة ورجال المال والمجتمع بحثاً عن حلول وهمية لمشكلات لا وجود لها، وهي ظاهرة يجب مواجهتها بقوة حتى لا تتنامى هذه الظاهرة بشكل قد يؤدي إلى نشر ثقافة مدمرة بين المجتمعات العربية والإسلامية عبر بوابة الميديا

يرى البعض أن انتشار الفضائيات التابعة للقطاع الخاص وتراجع دور الإعلام العربي الرسمي هو السبب في هذا السفسه الفضائي الكبير، فهل تؤيدبن هذا الرأي؟

من المعروف أن الإعلام العربي ظل رسمياً لفترة طويلة وتحديدأ حتى عام 1990، إذ بدأت الفضائيات الخاصة في الظهور حيث شهدت الفترة ما بعد عام 1990 انتشار القنوات الفضائية العربية والفضائية المصرية، وقد حظيت بنوع من الحرية ولكن نتيجة لاستمرار نمط واحد خلال سنوات طويلة ظهرت بعض الممارسات العشوائية سواء من ملاك القنوات أو العاملين فيها لكونهم أيضا ليسوا متخصصين في مجال الإعلام، وكذلك لم يحصلوا على تدريب أو تأهيل بقدر كاف يمكنهم من الارتقاء بالأداء المهني على الساحات الفضائية وكل ذلك كان من أهم أسباب حدوث ممارسات غير أخلاقية لا تتفق مع تقاليد المهنة، والحل الوحيد للحد من كل التجاوزات والخروج على القواعد والتقاليد المهنية، هو تقوية الرقابة الذاتية ولا بد أن يضع أصحاب الفضائيات ميثاق الشرف الإعلامي، فكلما كانت الآليات ذاتية بعيدة عن تدخل الدولة زادت فاعليتها . وكذلك لابد من وضع ميثاق شرف إعلامي لضبط الانفلات وتصحيح المسار وعلاج كل الأمراض المهنية والأخلاقية التي استشرت بشرط وضع معايير قابلة للتطبيق وليس مجرد عبارات مطاطة في العمل الإعلامي، ولا بد من أن تتشكل اللجان المختصة بوضع الميثاق من أصحاب القنوات الخاصة ومسؤولي القنوات الرسمية وأساتذة الإعلام والقانون وشخصيات عامة، بحيث يتم الاتفاق على كل البنود التي يشملها الميثاق بحيث لا تترك ثغرة يخترقها العاملون في المجال أما في حالة ارتكاب أي خطأ فيتم العقاب من الداخل بدلاً من التدخل الحكومي أو اللجوء للقضاء . وتتراوح العقوبات بين إيقاف البرنامج والغرامات وإذا تكررت الأخطاء فلا بد من إغلاق المحطة، وهذه الإجراءات جزء من الممارسات التي تطبق في الدول الأوروبية . ومن المهم أيضاً اختيار عناصر مهنية مؤهلة إعلامياً ومدرية بشكل جيد تدرك قيمة الكلمة وتؤمن بحرية الرأي وتتعامل بمصداقية وتبتعد عن إحداث أي صدامات، . ومن الضروري أيضاً أن تكون قد مارست العمل الإعلامي لعدة سنوات

قنوات راقصة

بصراحة شديدة هل ترين أن هناك قنوات عربية تجمع بين الترفيه والالتزام؟

لا للأسف، وبمنظرة متأنية سنجد أن هناك أكثر من 450 قناة فضائية عربية منها 45 قناة تخصصت فقط في الرقص ولا يوجد بها برنامج واحد، أي أنها قنوات راقصة فقط، ما يؤكد الضمور والتراجع الأخلاقي الذي تعيشه هذه القنوات . وهناك قنوات أخرى تقدم المواد الدينية الملزمة وبالفعل بها التزام ديني أو أخلاقي عالٍ لكن الترفيه في برامجها ومحتوياتها ضعيف أو لا يوجد فيها ترفيه، وهناك قنوات جامدة ليس فيها ترفيه ولا أخلاق وللأسف لا توجد في العالم العربي والإسلامي اليوم قناة واحدة فيها ترفيه عالٍ وأخلاق عالية، وهذه المعادلة المفقودة هي التي نحتاج إليها بالفعل ونتمنى أن يأتي اليوم الذي نرى فيه قناة فضائية ملتزمة وتقدم قيمةً إسلامية حقيقية وفي الوقت نفسه تقدم ترفيهاً . يحرص على الالتزام بأحكام وشرائع الأديان السماوية

بعيداً عن الفضائيات . . كيف تقيمبن دور المدونات في المجتمعات العربية والإسلامية؟

يعرف علم الإعلام المدونات باعتبارها وسيلة للتعبير والتواصل والدعاية والإعلان للمؤسسات والأفراد، وكان لوجود

الإنترنت في كل مكان دوره الخطير في النشر الإلكتروني وظهور المدونات كونها صوتاً حراً بلا رقابة ولا تدخل ولا قيود ولا مصالح اقتصادية، وكان لها الأثر الأكبر لجذب الشباب حيث تم إنشاؤها لإشباع رغبتهم فيما يريدون التعبير عنه من أفكار وتحقيق إشباع الحوار والتعليق، ولكن الملاحظ أن بعض المدونين، وليس كلهم بالطبع، يفتقدون إلى المهنية الإعلامية وبالتالي تخرج مدوناتهم عن إطارها الصحيح، وخطاب هؤلاء للأسف يفتقد إلى كثير من شروط الموضوعية ومراعاة الذوق العام واحترام خصوصية الأفراد، وتعكس تغطيتهم للأحداث السياسية الخلط بين المعارضة السياسية كحق أصيل للمواطن، والتجريح الشخصي والتعرض للشخصيات العامة بتعمد الإهانة لهم في حياتهم الخاصة، وتعكس أطروحاتهم عدم وعيهم بالوجه الآخر للحرية التي يوظفونها في التعبير عن آرائهم، فهم ينساقون بكل حدة وقوة وراء تبرير أفكارهم والدفاع عنها بشتى الوسائل دون أي اعتبارات أخرى ودون احترام للقيم الأخلاقية والدينية .

إعلانات هابطة

وماذا عن رأيك في الإعلانات التي تذاع على قنواتنا للترويج للسلع المختلفة؟

الملاحظ أننا أصبحنا نحترف استخدام جسد المرأة أسوأ استخدام في موضوع الإعلانات رغم أن قواعد الإعلان في العالم كله تؤكد عدم استغلال المرأة في الإعلان وعدم الادعاء بما ليس موجوداً في السلعة، ولكن أصحاب صناعة الإعلان لا يهتمون بذلك فالمعلنون يستغلون الإمكانيات المتاحة للمرأة ويوظفونها في مجال الإعلان، ورغم خصوصية المنطقة العربية وخصوصية المجتمع الإسلامي والثقافة العربية، فإننا نلاحظ أن كل الوكالات الإعلانية التي تعمل بالوطن العربي، دون استثناء، تخرق هذه القواعد بشكل أو بآخر، وقد يكون هذا الكسر محدوداً وقد يكون شراً كبيراً لهذه القواعد الخاصة بالثقافة العربية والمجتمع الإسلامي، وما يجب أن يتمتع به من خصوصية لذا فنحن نحتاج إلى تقنين الممارسات الصحافية والإعلامية، ومن واجبنا في الفترة المقبلة أن نجد تشريعاً موحداً في الوطن العربي ينظم أخلاقيات الإعلام والإعلان في الوطن العربي .

هدم وتفرقة

في النهاية هل ترين أن الإعلام لعب دوراً سلبياً في الفرقة والتشتت العربي؟

بالطبع ما تقوله صحيح مئة في المئة والدليل على ذلك الخلاف المصري الجزائري الذي مازال يثير الشجن والأسى في نفس كل عربي محب لعروبته وإسلامه، بل إنني لا أكون متجنبة إذا قلت إن كل خلاف بين دولتين عربيتين ستجد وراءه الإعلام بصورة أو بأخرى، ومن هذا المنطلق فعلى القائمين على الإعلام العربي العمل على تحكيم ضمائرهم وعدم الهرولة وراء التسخين وخلافه بحثاً عن توسيع دائرة المشاهدين حتى لو جاء ذلك على حساب مصلحة الأمة العربية والإسلامية، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الفضائيات العربية حققت في بداياتها تقارباً شعبياً ثقافياً نادراً بين الشعوب العربية ولكن بمرور الوقت تحولت الفضائيات، أو بعضها للأسف الشديد، إلى ساحة صراع دبلوماسي مكشوف، وأخذ المشاهد العربي يطلع على حجم بعض الخلافات العربية من خلال هذه الفضائيات رغم إدراك القائمين عليها لخطورة . ما يفعلونه على الواقع العربي سواء على المستوى الرسمي أو على المستوى الشعبي